العرب
الإثنين 2019/07/22
السنة 42 العدد 11415

كوميديا ممزوجة بالخيال العلمي فوق سطح القمر

«السماء الحديدية» القمر يتحوّل إلى ملاذ لسكان الأرض الناجين من الكوارث

الملاذ الأخير هو القمر

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

في سينما الخيال العلمي هناك مساحات واسعة للتجريب من أجل تقديم معالجات سينمائية تحاول الخروج عن الموضوعات المألوفة التي شاعت في هذا النوع السينمائي الذي يحظى بشعبية واسعة واهتمام كبير، إلاّ أنه في المقابل تحضر بكثافة دائما ثيمة استشراف المستقبل، كما هو الحال مع الفيلم الجديد "السماء الحديدية" للمخرج تيمو فيورينسولا.

لا شك أن المستقبل هو المفردة الأكثر تداولا في الكثير من أفلام الخيال العلمي، كيف هو شكل الغد والحياة والمكان والطبيعة وإلى أي مدى سوف تبقى البشرية تواصل الحياة على الرغم من الكثير من الأسباب التي قد تشل حركة الحياة أو تنهيها. من هنا كان الذي يكمل تلك الصورة المستقبلية هو احتمالات انهيار الحياة من جراء الكوارث الطبيعية أو الحروب والصراعات.

إنه قلق إنساني مشروع تشتغل عليه تلك التجارب السينمائية وتقدمه بأشكال وثيمات شتى، ومنها تجربة المخرج تيمو فيورينسولا في فيلم "السماء الحديدية" (إنتاج 2019) الذي يقدم صورة المستقبل من خلال كارثة نووية تضرب الأرض فتدفع الناجين للبحث عن مكان بديل لغرض العيش.

ويذهب المخرج بعيدا في هذه المعالجة السينمائية على افتراض أن الناجين يتم إجلاؤهم إلى الجانب المظلم من القمر وعلى افتراض أنه شبه جنة أرضية تصلح للعيش.

ورحيل البشر عن الأرض التي لم تعد صالحة للسكن والعيش في كوكب آخر سبق وقد عالجتها سينما الخيال العلمي في العديد من الأفلام ابتداءً من فيلم "رحلة إلى القمر" (إنتاج 1902) مرورا بفيلم "أبولو 13 (1995) و"من الأرض إلى القمر" (1998) وفيلم "أوديسة الفضاء" (2001)، وفيلمي "حرب النجوم" و"سباق إلى المريخ" وكليهما من إنتاج العام 2007، وصولا إلى فيلم "أفتار" (2009) و"غرافيتي" (2013) و"النجمي" (2014) وفيلم "الوصول" (2016) و"الرجل الأول" (2018) وغيرها.

وفي فيلم "السماء الحديدية" هناك كوكب بديل عامر بالحياة هو القمر، ولكنه كوكب حافل بالصراعات وأشكال شتى من الكائنات، وذلك في إطار يجمع ما بين الخيال العلمي والفانتازيا والكوميديا، حيث بنى المخرج أحداث فيلمه على أساس المضي في الأحداث التي ظهرت في فيلم حمل العنوان نفسه في العام 2012، لكنه خرج بهذا الفيلم نحو معالجة أخرى مختلفة.

> المخرج يمضي في طرحه الكوميدي ليظهر شخصيات فيلمه وهي تجتمع في مشهد يشبه لوحة العشاء الأخير

وليس مستغربا أن نعثر في تلك المتاهة على نسخة أخرى من هتلر وهو يؤدي دوره في رفض الناس الناجين أو قبولهم، ثم ما نلبث أن نكتشف حشدا من الزعماء والسياسيين القادمين من أنحاء العالم الأرضي من الذين نجوا من الكارثة الأرضية ومنهم شخصيات تشبه رئيسة الوزراء السابقة مارغريت تاتشر وأخرى شبيهة بالسياسية الأميركية سارة بيلين ورئيس كوريا وغيرهم. هنا سوف يمضي المخرج في هذه الكوميديا ليظهر الشخصيات وهي تجتمع في مشهد يشبه لوحة العشاء الأخير وذلك في إطار ساخر.

وتبرز هنا شخصية أوبي (الممثلة لارا روسي) وهي شخصية سريعة الحركة ومبتكرة، وذلك لكونها ابنة حاكمة إحدى مقاطعات القمر، ولهذا فهي التي سوف تستقبل المزيد من الناجين ومنهم ثلة من الناس القادمين من روسيا يقودهم ساشا (الممثل فلاديمير بورلاكوف).

وهنا سيتم الزج بصراعات سبق ورسخت في الأذهان كمثل الصراع الأميركي- الروسي، حيث إنه لن يتوقف حتى يصل إلى القمر وذلك من خلال الصراع ما بين الرئيسين الأميركي والروسي ومحاولة اغتيال يقف وراءها بوتين تستهدف رئيس الولايات المتحدة.

سوف نتوقع المزيد من الأحداث غير المنتظرة وغير المحسوبة في ظل اجتماع طوائف شتى من البشر من الذين نجوا واستوطنوا إحدى مقاطعات القمر. وفي المقابل، هناك ما يشبه العالم الجوراسي الذي سبق وتمت معالجته سينمائيا في العديد من الأفلام، وحيث تتجول الديناصورات حينا وتهاجم حينا آخر بما يُظهر تأثيرات عدد من أفلام الخيال العلمي الأخرى على هذا الفيلم.

وبالطبع هناك الكثير ممّا يرتبط بالشخصيات الدرامية الأكثر أهمية ومنها الفوهرر ومنها سارة بيلين وآخرين، وهم الذين يرسمون بخيالهم صورة مستقبل مختلف على سطح القمر.

أما بالنسبة لأوبي فمهمتها إنهاء مظاهر الخداع والإساءة إلى البشر، ومن ذلك تمردها على قرار أمها بمنع اللاجئين الروس من الهبوط من مركبة جلبتهم من الأرض طلبا للنجاة، وتاليا سوف يصطف ساشا مع أوبي في صراعهما مع تلك الطبقة من الساسة التي تجمعها طاولة العشاء الأخير.SS

وفي موازاة ذلك تم الزج بالمزيد من مشاهد الحركة من خلال شخصية أوبي وكذلك شخصية والدتها التي تواجه الديناصورات وتموت في تلك المواجهة، لتمضي أوبي في التقصي، فتكتشف الطاقة التي هي أقرب إلى الخرافة لهتلر، وحيث يرى أوبي كيف أنه إذا ما تم استئصال إصبعه فإنه بقدرة غرائبية يعيده فينمو من جديد وكأن شيئا لم يكن.

وفيلم "الوصول" (2016) و"الرجل الأول" (2018) وغيرها.

وفي فيلم "السماء الحديدية" هناك كوكب بديل عامر بالحياة هو القمر، ولكنه كوكب حافل بالصراعات وأشكال شتى من الكائنات، وذلك في إطار يجمع ما بين الخيال العلمي والفانتازيا والكوميديا، حيث بنى المخرج أحداث فيلمه على أساس المضي في الأحداث التي ظهرت في فيلم حمل العنوان نفسه في العام 2012، لكنه خرج بهذا الفيلم نحو معالجة أخرى مختلفة.

> المخرج يمضي في طرحه الكوميدي ليظهر شخصيات فيلمه وهي تجتمع في مشهد يشبه لوحة العشاء الأخير

وليس مستغربا أن نعثر في تلك المتاهة على نسخة أخرى من هتلر وهو يؤدي دوره في رفض الناس الناجين أو قبولهم، ثم ما نلبث أن نكتشف حشدا من الزعماء والسياسيين القادمين من أنحاء العالم الأرضي من الذين نجوا من الكارثة الأرضية ومنهم شخصيات تشبه رئيسة الوزراء السابقة مارغريت تاتشر وأخرى شبيهة بالسياسية الأميركية سارة بيلين ورئيس كوريا وغيرهم. هنا سوف يمضي المخرج في هذه الكوميديا ليظهر الشخصيات وهي تجتمع في مشهد يشبه لوحة العشاء الأخير وذلك في إطار ساخر.

وتبرز هنا شخصية أوبي (الممثلة لارا روسي) وهي شخصية سريعة الحركة ومبتكرة، وذلك لكونها ابنة حاكمة إحدى مقاطعات القمر، ولهذا فهي التي سوف تستقبل المزيد من الناجين ومنهم ثلة من الناس القادمين من روسيا يقودهم ساشا (الممثل فلاديمير بورلاكوف).

وهنا سيتم الزج بصراعات سبق ورسخت في الأذهان كمثل الصراع الأميركي- الروسي، حيث إنه لن يتوقف حتى يصل إلى القمر وذلك من خلال الصراع ما بين الرئيسين الأميركي والروسي ومحاولة اغتيال يقف وراءها بوتين تستهدف رئيس الولايات المتحدة.

سوف نتوقع المزيد من الأحداث غير المنتظرة وغير المحسوبة في ظل اجتماع طوائف شتى من البشر من الذين نجوا واستوطنوا إحدى مقاطعات القمر. وفي المقابل، هناك ما يشبه العالم الجوراسي الذي سبق وتمت معالجته سينمائيا في العديد من الأفلام، وحيث تتجول الديناصورات حينا وتهاجم حينا آخر بما يُظهر تأثيرات عدد من أفلام الخيال العلمي الأخرى على هذا الفيلم.

وبالطبع هناك الكثير ممّا يرتبط بالشخصيات الدرامية الأكثر أهمية ومنها الفوهرر ومنها سارة بيلين وآخرين، وهم الذين يرسمون بخيالهم صورة مستقبل مختلف على سطح القمر.

أما بالنسبة لأوبي فمهمتها إنهاء مظاهر الخداع والإساءة إلى البشر، ومن ذلك تمردها على قرار أمها بمنع اللاجئين الروس من الهبوط من مركبة جلبتهم من الأرض طلبا للنجاة، وتاليا سوف يصطف ساشا مع أوبي في صراعهما مع تلك الطبقة من الساسة التي تجمعها طاولة العشاء الأخير.SS

وفي موازاة ذلك تم الزج بالمزيد من مشاهد الحركة من خلال شخصية أوبي وكذلك شخصية والدتها التي تواجه الديناصورات وتموت في تلك المواجهة، لتمضي أوبي في التقصي، فتكتشف الطاقة التي هي أقرب إلى الخرافة لهتلر، وحيث يرى أوبي كيف أنه إذا ما تم استئصال إصبعه فإنه بقدرة غرائبية يعيده فينمو من جديد وكأن شيئا لم يكن.

«لماذا؟» عندما يحاسب بيتر بروك نفسه من خلال مسرحية

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي مقيم في باريس

"لماذا؟" هو آخر عمل ينجزه رجل المسرح الإنكليزي الشهير بيتر بروك صاحب نظرية الفضاء الفارغ، ويحوم كما يدل عليه عنوانه حول السؤال التالي: "لماذا نمارس المسرح؟"، مستندا إلى تجربته الطويلة وإلى تجارب أعلام آخرين.

يعتبر الإنكليزي بيتر بروك (وهو على مشارف الخامسة والتسعين من عمره) من أهم رجال المسرح في القرن العشرين، ورغم ذلك لا يقابل الناس إلاّ بمثل ما اعتاد أن يلقاهم به من تواضع، أشبه بتواضع حرفيّ تنحصر حياته في البحث الدائم عن المعنى والجوهر في كل عمل يقبل عليه.

ورغم أنه أخرج سرودا مكثفة وعروضا ملحمية مثل بعض مسرحيات شكسبير أو "مهابهاراتا" الهندية، لم يتخل بروك عن الأشكال والحكايات المبسطة التي تُختزل في أدق مدلولاتها وتعبر عادة أكثر مما تقول أو تُظهر، وعن إلحاحه على الاقتصاد في كل شيء حتى في الحركة، لأنه لا يبحث عن الفرجوي، بل يعطي مكانة هامة للجمل الناقصة التي تفهم بالسياق، مثلما يؤثر تقليص الديكور إلى حدوده الدنيا. وهو ما يتجلى في عمله الأخير "لماذا؟" الذي يعدّ مانيفستو حول تصوره للعمل المسرحي، أو وصية عن مفهومه للمسرح وعلاقته به.

وفي مسرح "بوف دي نور" الذي أداره بيتر بروك من 1974 إلى 2010، يتناوب ممثلان وممثلة على خشبة ذات ديكور بسيط، للحديث عن الأسباب التي دفعتهم إلى الانخراط في الفن الرابع، والاحتفاء بالمسرح بعفوية تامة حديثا لا يخلو من مزاح ودعابة، ويطرحون السؤال تلو السؤال: لماذا وجد المسرح؟ عمّ نبحث في كل جانب من الخشبة؟ ما هي سلطاتها ونفوذها؟ لماذا استطاع المسرح أن يكون أكثر الفنون إثارة ومشاغبة رغم أننا نصاب أحيانا بالسأم والضجر في رحابه؟ تلك الأسئلة لا تملك الدلالة نفسها حين تقال أول العمر أو في خريفه. والطريف هنا أن تلك الأسئلة لا تبقى مجرد نظريات، بل تتعداها إلى ممارسة فعلية على الخشبة.

> بيتر بروك يوهمنا بسؤاله «لماذا؟» بأنه لا يفهم شيئا، فيغدو مثل سقراط حين قال «كل ما أعرفه أني لا أعرف شيئا»

ولكن حديثهم يتخذ منحى تراجيديا عندما يستحضرون رجل المسرح الطلائعي الروسي فسيفولود مايرهولد (1874–1940)، ذلك الذي قال قبيل إعدامه في أحد سجون موسكو بتهمة الجاسوسية واتباع التروتسكية "المسرح سلاح بالغ الخطورة"، وقد عرف عنه ميله إلى التجديد وابتكار أعمال مسرحية مستقبلية تدير ظهرها للواقعية منذ توليه إدارة "مسرح الثورة" عام 1922، بيد أن ذلك النزوع إلى الطلائعية لم يعجب ستالين الذي كان يريد فنا واقعيا اشتراكيا تفهمه الجماهير الشعبية بسهولة، فقام منذ وصوله إلى السلطة بعمليات تطهير سياسي، شملت رجال المسرح والآداب والفنون، وقادت عددا منهم إلى الموت والنفي والمعتقلات. وكان مايرهولد من بين ضحاياه، رغم أنه لم ينكر شيوعيته حتى الرمق الأخير.

ومن خلال مسيرته الخاصة، وتجربة مايرهولد الفنية والوجودية، يتساءل بروك عن ممارسة فن ألمّ بأسراره حتى عُدّ من عمالقة الإخراج المسرحي في القرن العشرين، وعن الأساليب التي اعتمدها في خلق أجواء ساحرة بوسائل غاية في البساطة في أغلب الأوقات.

ويستدعي لتبيان ذلك بممثلة (كاثرين هانتر) وممثلين (هايلي كارمايكل ومارسيلو ماغني) لتفكيك آليته ووصف دواليب اشتغالها، يتولى كل واحد منهم الإجابة عن كيفية تعامله مع شخصياته في مواقفها المتنوعة، قولا وإيماء، مستعينا بمعيشه على الخشبة، وعلاقته بالجمهور.

ومن خلال عمليات البوح تلك، يجنح العمل كله إلى تجربة مايرهولد والتأكيد على العلاقة الجوهرية بالجسد، الذي يسمح للممثل بالإفصاح والتعبير. كل ذلك بطريقة فنية بعيدة عن المباشرة، في ديكور لا يحوي من العناصر إلاّ أقلها، وهي هنا زربية حمراء، وكراس، وثلاثة محامل.

ورغم ذلك ينجح الممثلون في الوصول إلى جوهر الإبداع المسرحي، بفضل فترات صمت يؤثثها المتفرج لينفذ إلى عنت مايرهولد الذي ظل على يقين حتى آخر لحظة من حياته بأن الحقيقة سوف تنتصر. ورغم مقتل زوجته من بعده، لم تُعِد إليه سلطات بلاده الاعتبار إلاّ عام 1955، أي بعد موت ستالين، وتصفية مرحلته الدموية.

"لماذا؟" هي درس حول منهج بيتر بروك، لا غنى عنه لكل من يرغب في فهم كتابة هذا العلم الإنكليزي. ما بين تساؤلاتها المستمرة عن الخطأ والصواب، تحاول المسرحية أن تبين أن الممثل إذا أراد أن يصيب المرمى فعليه ألاّ يمثل، وليبحث عن التأثر والانفعال حيثما وجدا، بداخله مثلا، بعيدا عن الموضوع المثار.

هو درس لمساءلة كل شيء، حتى أقصى العبثية، على غرار المخرج الروسي مايرهولد، حين كان يشتغل على فضاء طلق، بلا ستار ولا خلفية. وهو ما عمل عليه بروك في أغلب ما أنتج وأخرج، حيث كان يعتمد على عنصرين مثلا مسيرته هما الفضاء الفارغ، والإخراج بلا إخراج.

المسرح، ولا شيء غير المسرح، حكايات لقول العالم، ووضعه على مسافة كي تسهل مواجهته، ذلك ما سعى إليه بيتر بروك طوال مسيرته، وربما لا يزال يسعى وهو في هذه السن، ويوهمنا بسؤاله "لماذا؟" بأنه لا يفهم شيئا، فيغدو مثل سقراط حين قال "كل ما أعرفه أني لا أعرف شيئا".

أسئلة عن المسرح تتحول إلى ممارسة فعلية على الخشبة

الحب الصامت

فاروق يوسف
كاتب عراقي

مشيت في شوارع العاصمة الألبانية تيرانا ليومين. في الليل والنهار. قبل شروق الشمس وبعد غروبها. وجلست في حدائقها ومقاهيها ومطاعمها.

تأملت واجهات مبانيها ومخازنها التجارية وفنادقها ومكتباتها وأسواقها ووجوه بشرها فشدني إليها جمال خفي يجمع بين الطبيعة والناس.

مدينة صغيرة ومتواضعة وشديدة التهذيب. لم تلاحقني نظرة استفهام باعتباري غريبا بالرغم من أنه لم يكن هناك أثر للسياحة. ليست تيرانا مقصدا سياحيا. فلا شيء فيها يجذب السياح. هي مدينة عيش جميل وهانئ ورخي. يمكنك أن تحبها، لكن بصمت يشبه صمتها.

لا شيء من القسوة التي تستعيد النظام الشيوعي وما من أثر للعزلة القديمة. الألبان ريفيون منفتحون على العالم. صدمت لأنني لم أر متسولا واحدا في تيرانا. لا أحد يستوقفك في الشارع ولا أحد يعرض عليك بضاعة. مدينة في الخيال. ليست غريبة. هي أقرب إلى مدن الشرق من غير مظاهر الفوضى.

يقدم لي عامل المطعم قائمة الطعام مكتوبة بالإنكليزية وحين أشرت إلى إحدى الأكلات ابتسم كما لو أنه يعتذر. اكتشفت حينها أن لا أحد من العاملين في المطعم يتكلم الإنكليزية. غير أنهم كانوا يتفاعلون معي بالابتسامات التي تفصح عن جمال خاص. ساحر ذلك الجمال الذي يفاجئك أينما مضيت.

سائق سيارة الأجرة الذي أقلني إلى المطار بلغ إعجابه بأغنية إيطالية كان يبثها الراديو إلى درجة أنه أوقف سيارته وخرج ليرقص على أنغام تلك الأغنية. حينها منحني ضحكة لم أطلقها منذ زمن بعيد. ذكرتني تلك الرقصة بزوربا، الذي تقع بلاده اليونان قريبا من تيرانا. في يومين متواصلين من غير نوم رأيت شعبا جميلا. جمال رجاله ينافس جمال نسائه. هناك رقة لدى الرجال الواقعيين تفوق رقة النساء المتخيلات تأثيرا. سحر أولئك النساء يصدر من ثقتهنّ المطلقة.

تيرانا مدينة آمنة. كل شيء فيها صغير كما لو أنها دفتر رسم يطويه المسافر إليها حين يغادرها. مدينة تُحب لكن بصمت. الصمت الذي هو واحد من عناوين جمالها.